

وعلى أن الله تعالى قد حال بين الهداية وقلوب هؤلاء بحجب وأقفال منيعة، كما يدل على سفه العقل، وسقم التفكير، لأن المنطق كان يقضي عليهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، لكنه عمى العقل وجنون العناد.

الآية ٣٣ - وكان من اليسير على الله أن يهلك النضر ومن معه من المعاندين المكابرين فيصيبهم بما أصاب به عادا وثمود، ولكن الله أرسل نبيه ﷺ رحمة للعاملين، فقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي ما كان الله ليعذب أمتك وأنت قائم فيهم لهدايتهم، بل كرامتك عند ربك أجل وأعظم، وسيؤجل الله عذاب المشركين حتى تخرج من بينهم، ويحول شقاؤهم دون هدايتهم، ولو كانوا ممن يؤمنون ويستغفرون الله من الكفر والمعادة، لما عذبهم، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون فجزاؤهم من الله أشد العذاب.

الآية ٣٤ - وكيف لا يعذبهم الله وهم - زيادة على ما هم فيه من الكفر والضلال - يصدون المؤمنين عن زيارة المسجد الحرام، ويمنعونهم كما منعهم في عام الحديبية أن يحجوا، ويزعمون لأنفسهم حق الولاية عليه، وما كانوا أوليائه، لم يولهم الله عليه، لأنه بيته، وهو صاحب الحق في أن يولى عليه من يشاء، فليسوا متأهلين ولا مستحقين لهذه الولاية، لأنهم أهل شرك، وعبدة أصنام، وأوثان، فكيف يتولون على بيت الله، إنما يتولى على البيت المسلمون المتقون الذين يعبدون الله حق عبادته ويعرفون لبيته حرمة، ولكن كثيرا من قريش لا يعلمون أن لا ولاية لأحد على المسجد الحرام إلا للمتقين من عباده.

الآية ٣٥ - وإن أفعالهم القبيحة عند البيت، التي تقوم مقام صلاتهم، لتنافي أن يكونوا أولياء البيت، أو محافظين على ما يجب له من هيبة ووقار، فقد جعلوا مكان الصلاة والتقرب إلى الله، المكاء والتصدية، أي التصفير والتصفيق، إذ كانوا يطوفون عراة، رجالا ونساء، مشبكين بين أصابعهم، يصفقون ويصفرون، يفعلون ذلك ورسول الله ﷺ قائم يصلي ويقرأ، ليحدثوا جلبة وضوضاء عليه، ويشيروا الضجيج حوله، ويشغلوه عن صلاته، فذوقوا العذاب الذي لقيتموه بدر في الدنيا، وذوقوا عذاب جهنم في الآخرة، جزاء ما كنتم فيه من كفر وضلال.